

## عقوبة العزل

أخطأ الطفل، فوجهتموه، ثم كرر الخطأ، فنهتموه، ثم كرر الخطأ، فطبقتم نظام الـ Time Out وعاقبتموه بالجلوس على كرسي في ركن من أركان المنزل، أو بدخول حجرة والبقاء بها لمدة محددة ترونها مناسبة! كأم أو أب ترون أنكم هكذا تعاقبون طفلكم عقاباً خفيفاً حتى لا يكرر الخطأ! من وجهة نظركم، أنتم أفضل من غيركم لأنكم لم تعاقبوه بالضرب أو الصفع أو الزغد أو الشك أو اللسع أو أي وسيلة أخرى من الوسائل الشائعة!

هناك مقالات عديدة، وكتب كثيرة، تؤيد هذا العقاب. لكن هناك مقالات أكثر وكتباً أكثر ترفض عزل الطفل كعقاب له. هناك مدرسة في التربية اسمها التربية الإيجابية Positive Discipline أو Positive Parenting، ومدرسة أخرى اسمها التربية بالترابط، Attachment Parenting وهذه المدارس اكتشفت عيوب العزل. عندما درست نهج المونتيسوري وجدت أن د. «ماريا مونتيسوري» اكتشفت نفس العيوب منذ أكثر من مئة عام!

هل لاحظتم وجه الشبه بين عزل الطفل كعقاب وبين الحبس الانفرادي كوسيلة تعذيب؟ هل تساءلتم يوماً عن أسباب تصنيف الحبس الانفرادي كأسوأ تعذيب نفسي لمسجون؟ هل

تعرفون أن المسجون في الحبس الانفرادي من حقه بعض الكتب والجرائد؟ هل تسمحون لطفلكم ببعض اللعب في عزلته؟

المسجون في الحبس الانفرادي يعاني من الآتي: القلق والخوف والترقب والتوتر والاكتئاب واليأس واللامبالاة والانكسار والكسل والخمول والغضب والتحفز والعدوانية ونوبات الهياج وضعف التركيز وتشتت الانتباه وضعف الذاكرة وتشوش الأفكار. إذا طالت فترة حبسه فقد يصاب بالفصام والاكتئاب المزمن وأمراض نفسية أخرى.

هذا نفس ما يحدث لطفلكم في عزلته، وتزداد الآثار الجانبية كلما تكرر عزله وكلما طالت مدة عزلته! هل لاحظتم أن طفلكم أصبح عنيداً بشكل يشل؟ يعتمد الخطأ ويتعمد مضايقتكم ولا يبالي بكم وبعقابكم؟ هل لاحظتم أن طفلكم لم يعد طفلاً؟

أما د. «ماريا مونتيسوري»، فوجهة نظرها كانت أن الهدف من العقاب هو عدم تكرار الخطأ، ولكن العقاب لن يؤدي إلى هذه النتيجة! يتعلم الإنسان ألا يخطئ عندما يدرك عواقب خطئه. العزل لم يعلم الطفل أي شيء ولكنه عرضه لإساءة نفسية بالغة! طفلكم اليوم يريد الانتقام منكم بأفعاله تلك!

هذه بعض الأمثلة التي وردت إليّ من تصرفات الأطفال التي أدت إلى عقابهم بالعزل، ومعها الأسلوب الصحيح للتعامل معها:

\* الطفل كسر اللعبة أو الريموت أو الكوب، في هذا الموقف الطفل لم يقصد كسر الشيء ولكنه كان يحاول استكشافه. بدلاً من عقابه، دوركم أن تعلموه كيف يستكشفه بأسلوب صحيح، وكيف يتعامل معه حتى لا ينكسر. الدرس هنا هو الاستئذان وطلب المساعدة والتعلم. يرى الطفل حزنكم على ما انكسر ويرى المكسور في الزباله ويتعلم الفقد والخسارة.

\* الطفل يشتم، الطفل لن يفهم كلمة «عيب» مهما كررتوها أمامه! عندما يشتم الطفل، قولوا له «فمك الآن اتسخ! هيا بنا نغسله!» في أي وقت وأي مكان توقفوا وخذوا الطفل واغسلوا فمه وكأنه متسخ حقاً! سوف يتوقف الطفل عن توسيح فمه بالشتيمة مع الوقت.

\* الطفل يضرب، الطفل يضرب بحسن نية عندما لا يعرف كيف يتفاعل مع شخص يريد اللعب معه، ودوركم هنا هو تعليمه كيف يلعب ويتفاعل بدون ضرب. قد يضرب لأنه غاضب ودوركم هنا أن تعلموه استخدام الكلمات للتعبير عن مشاعره، ودوركم كذلك أن توضحوا له أثر ضربته من ألم أو أذى لحق بالشخص المضروب.

\* الطفل يمسك بشيء لا يجب أن يمسك به، دوركم هو إبعاد الشيء عن متناول الطفل، ودوركم كذلك هو فهم أسباب فضول الطفل ومنحه فرصة أو نشاطاً لاكتشاف هذا الشغف! قد يكون الكهرباء أو الماء أو الطين أو أي شيء آخر! القاعدة: لا تعاقبوا طفلكم على شغفه وفضوله!

سأحكي لكم قصة معبرة:

أراد المدرب أن يلعب مع الأطفال لعبة الكراسي الموسيقية، وبدأ يصفق، وعندما توقف، جلس الأطفال إلا طفلة واحدة لم تلحق كرسي لها! فقال لها أن تجلس على كرسي بعيد عن الملعب. هكذا يلعب الجميع اللعبة!

انهارت الطفلة! انهارت تمامًا! بكت وصرخت وجرت على أمها، وقالت إن الكابتن يعاقبها، وأنها لا تريد أن تجلس على الكرسي خارج الملعب! لقد شعرت بإحراج الأم التي اعتادت عقاب البنت بالعزل، ها هي طفلتها الجميلة ذات الأربعة أعوام تعاني آثار العزل تمامًا مثلما يعاني السجين آثار تعذيبه بالسجن الانفرادي!

ما الفرق، إذًا، بين ركن العقاب (Time Out) وركن السلام (Peace Corner)؟

ركن السلام هو ركن هادئ في المنزل، أو الحضانة، بعيد عن الأطفال والمؤثرات الصوتية والبصرية. قد يكون خيمة أو ركنًا فعليًا في حجرة ما. عندما يثور الطفل يذهب ليجلس في هذا الركن ليفكر ويهدأ ثم يعود للاندماج في الحياة اليومية والأنشطة المعتادة.

بدون تدقيق قد يبدو ركن السلام مجرد اسم مختلف للـ naughty corner المعروف في أسلوب العزل. إليكم الفرق:

أولاً: ركن السلام حقاً يبعث على السلام لأن الطفل هو من يكونه. يختار الطفل مكانه في المنزل ويعرفه باسم «ركن السلام» ويختار مكوناته بنفسه.

ثانياً: مكونات ركن السلام محبة لقلب الطفل وتساعد على الاسترخاء والهدوء، وهو من يختارها بنفسه، قد تكون قصة مصورة يجيها أو موسيقا مفضلة أو مجموعة لوحات أو مكعبات خشبية أو فانوساً أو مسبحة. يصمم الطفل ديكور هذا الركن ليكون الركن المفضل له في المنزل.

ثالثاً: أنتم قدوة. ليعرف الطفل فيم يستخدم هذا الركن يجب أن يراكم تستخدمونه. مثلاً، عندما تكون الأم مرهقة أو ثائرة أو متوترة أو قلقة، تقول للطفل إنها تحتاج للذهاب إلى ركن السلام لتفكر وتهدأ. إذا أراد الطفل الذهاب معها، لا بأس! تعلمه أن يذهب معها وأن يجلس في حضنها في صمت وسكينة.

رابعاً: لا توجد فترة محددة يجب على الطفل أن يمضيها في ركن السلام! هو يختار أن يجلس به وقتما يحتاج للسلام وأن يخرج منه عندما يشعر أنه استعاد هدوءه.

خامساً: إذا طلب منكم الطفل أن تنضموا له في ركن السلام، انضموا له لأن في هذه الحالة هو يحتاج الحزن و«الونس» ليصل إلى السلام الذي يبتغيه.

سادساً: لا تأمروا طفلكم بالذهاب إلى ركن السلام، اسألوه بهدوء: «هل تحتاج أن تذهب إلى ركن السلام؟» واعرضوا عليه الذهاب معه: «هل تحتاجني أن أذهب معك أم تريد أن تكون وحدك؟» واسألوه إذا كان يريد أن يأخذ شيئاً معه: «هل تريد أن تأخذ معك قصتك المفضلة؟»

سابعاً: عندما يخرج الطفل من ركن السلام عانقوه واطمئنوا عليه: «هل أنت بخير؟» «هل تريد التحدث بشأن ما حدث؟»

هذه هي الفروق الأساسية بين ركن السلام وركن العقاب! نتيجة ركن السلام هي طفل هادئ قادر على السيطرة على انفعالاته ومسؤول عن قراراته ويشعر بالحب. نتيجة ركن العقاب هي طفل غاضب مدمر منتقم يشعر بالكرهية!